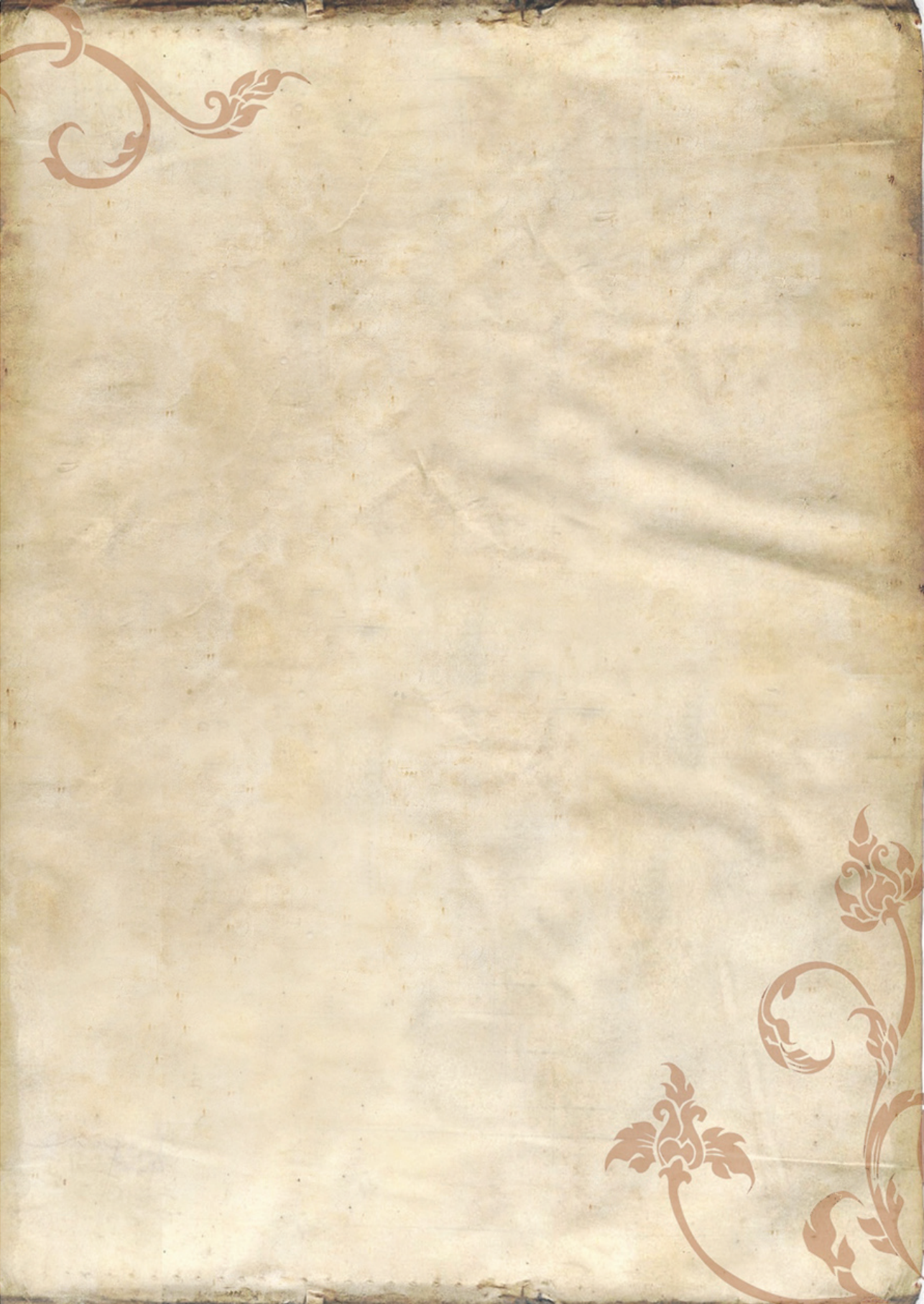


كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة وليلة

عبد الله البريء وعبد الله البهيم

رسوم : سمير عزيز



١ - عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ

كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» رَجُلًا فَقِيرًا جَدًّا . وَكَانَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ يَسْعَى - كُلَّ يَوْمٍ - لِلْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكَتِهِ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ وَيَبِيعُهُ ثُمَّ يَشْتَرِي - بِثَمَنِهِ - مَا يَقْتَاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلَادُهُ الْعَشْرَةُ وَزَوْجُهُ الْفَقِيرَةُ .

وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ زَوْجُهُ ؛ فَحَزَنَ لِمَوْتِهَا أَشَدَّ الْحُزْنِ . وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْحُزْنَ لَا يَنْفَعُ ، فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ ، وَصَبَرَ عَلَى قَضَائِهِ ، وَرَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ لَهُ .

وَذَهَبَ - فِي الْيَوْمِ الثَّانِي - مُبَكِّرًا إِلَى الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى ابْنَتَهُ «أَمِينَةَ» بِأَخَوَتِهَا . وَكَانَتْ «أَمِينَةُ» بِنْتًا مُؤَدَّبَةً ذَكِيَّةً ، فَعِينَتْ بِأَخَوَتِهَا خَيْرَ عِنَايَةٍ .

وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ - بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهَا - وَالِدَةٌ ثَانِيَّةٌ ، تَغْمُرُهُمْ بِعُطْفِهَا وَحَنَانِهَا ، وَتُؤَسِّسُهُمْ ، وَتَسْهَرُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ ، وَتَقُومُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

٢ - عَلَى شاطئِ الْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» إِلَى الْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، فَلَمْ يَرِ فِيهَا شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ . فَالْقَاهَا فِي الْبَحْرِ - مَرَّةً ثَانِيَةً ثُمَّ أَخْرَجَهَا ؛

فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا سَمَكَةً مَّا ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً ثَالِثَةً . وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلًا . وَلَمَّا
جَذَبَهَا وَجَدَهَا ثَقِيلَةً ؛ فَفَرَحَ بِذَلِكَ ، وَظَنَّ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالسَّمَكِ . وَلَكِنَّ
فَرَحَهُ لَمْ يَطُلْ ، فَقَدْ وَجَدَهَا - بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهَا مِنَ الْبَحْرِ - مَمْلُوءَةً بِالرَّمْلِ
وَالْحَشَائِشِ وَالْوَحْلِ فَرَمَى مَا فِيهَا ، وَنَظَّفَهَا وَغَسَلَهَا ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً أُخْرَى -
وَهُوَ يَرْجُو أَنْ تَصْطَادَ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَجَذَبَهَا ،
فَرَأَاهَا ثَقِيلَةً جِدًّا .

فَفَرَحَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

« لَا شَكَّ فِي أَنَّ شَبَكَتِي قَدْ امْتَلَأَتْ سَمَكًا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ » .

ثُمَّ جَذَبَهَا - بِكُلِّ قُوَّتِهِ - حَتَّى أَخْرَجَهَا بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ . فَرَأَى فِيهَا جَرَّةً
مَمْلُوءَةً بِالطَّيْنِ وَالْحَصَى .

فَحَزَنَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » أَشَدَّ الْحُزَنِ ، وَتَأَلَّمَ لِسُوءِ بَخْتِهِ . وَقَالَ فِي

نَفْسِهِ :

« إِنَّ الْفَرَجَ يَأْتِي بَعْدَ الشَّدَّةِ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ . فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ -

لَنْ يَتْرُكَنِي وَأَوْلَادِي بِلا قُوَّةٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ أَرْ لَهُ شَبِيهًا طَوَّلَ

عُمْرِي » .



ثُمَّ رَمَى الْجَرَّةَ ، وَنَظَّفَ شَبَكَتَهُ وَغَسَلَهَا ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ
وَأَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ ، فَلَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا !

وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ ، وَيُلْقِي شَبَكَتَهُ - مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ -
حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْمَسَاءِ ، وَلَمْ يَصْطَدْ سَمَكَةً وَاحِدَةً . فَرَجَعَ «عَبْدُ اللَّهِ
الصَّيَّادُ» أَذْرَاجَهُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ لِمَا لَقِيَهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الْمَنْحُوسِ .



٣. عَبْدُ اللَّهِ الْخَبَّازُ

وَمَا زَالَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ - وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ - يُفَكِّرُ فِي أَوْلَادِهِ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ مِنَ الصَّبَاحِ - بِلا طَعَامٍ - حَتَّى وَصَلَ إِلَى دُكَّانِ خَبَّازٍ غَنِيٍّ مَعْرُوفٍ ، اسْمُهُ : «عَبْدُ اللَّهِ الْخَبَّازُ» فَرَأَى النَّاسَ مُزْدَحِمِينَ عَلَى دُكَّانِهِ لِشِرَاءِ الْخُبْزِ . وَرَأَى «عَبْدَ اللَّهِ الْخَبَّازَ» ، مَشْغُولًا بِالْبَيْعِ .

وَكَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» جَائِعًا لَمْ يَذُقْ طَعَامًا فِي نَهَارِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُبْزَ أَمَامَهُ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْفُرْنِ - اشْتَهَتْهُ نَفْسُهُ ، وَذَكَرَ أَوْلَادَهُ الْعَشْرَةَ الْجَائِعِينَ ، فَتَحَسَّرَ لِفَقْرِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ شِرَاءِ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ . وَلَكِنَّهُ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لَا بُدَّ آتِيهِ .

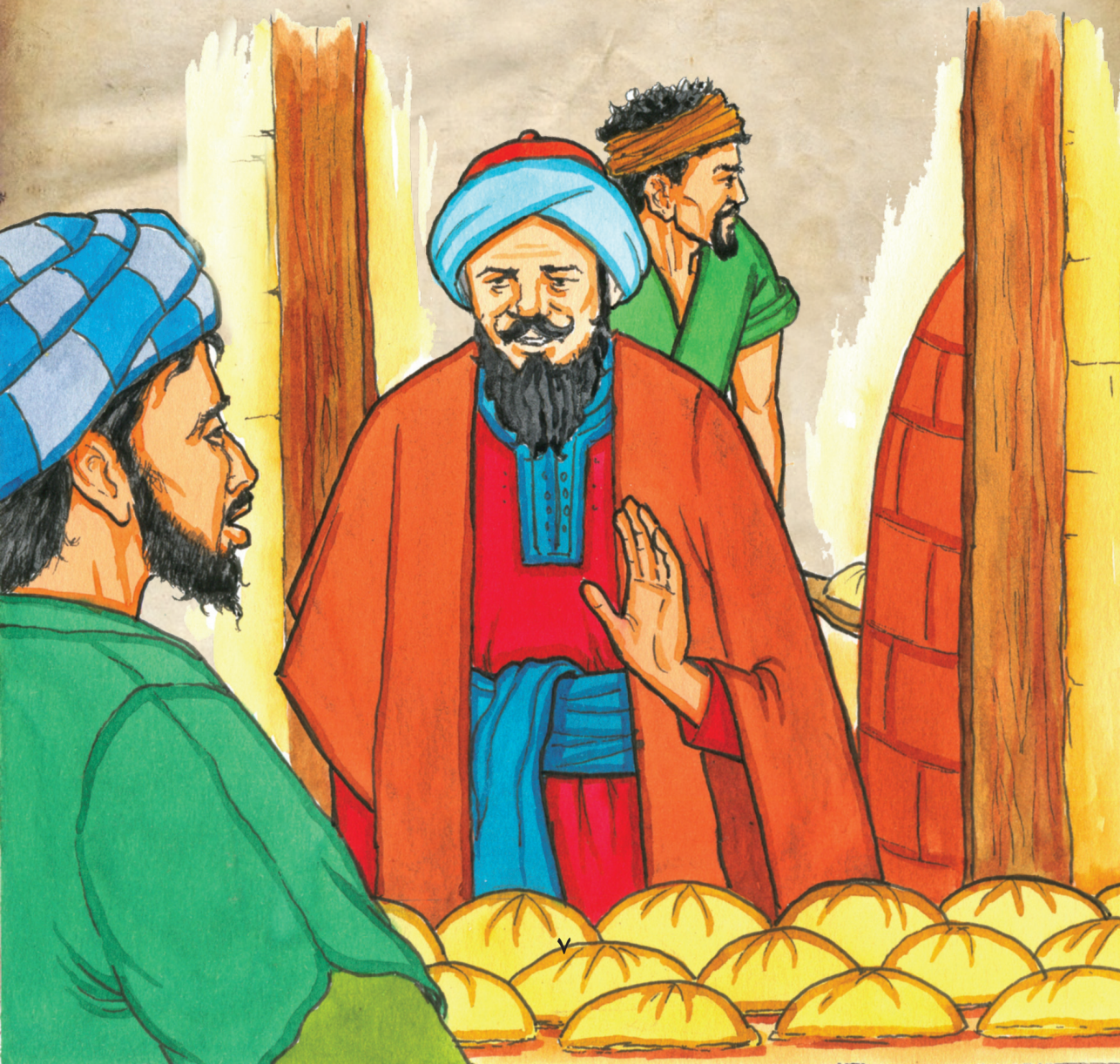
وَكَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الْخَبَّازُ» صَاحِبُ هَذَا الْفُرْنِ رَجُلًا مُحْسِنًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ . فَلَمَّا رَأَى «عَبْدَ اللَّهِ الصَّيَّادَ» وَاقِفًا أَمَامَ دُكَّانِهِ ، مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا ، يَنْظُرُ إِلَى الْخُبْزِ بِلَهْفَةٍ وَحَسْرَةٍ ، عَرَفَ أَنَّهُ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ جَائِعٌ ، وَأَدْرَكَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْتَهِي الْخُبْزَ ، وَيَمْنَعُهُ الْحَجَلُ وَالْحَيَاءُ مِنَ السُّؤَالِ .

فَنَادَاهُ بِرَفْقٍ وَهُوَ يَتَسَيَّمُ لَهُ :

«مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الصَّيَّادُ ، تَعَالَ إِلَيَّ أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْعَزِيزُ ، هَلُمَّ يَا صَاحِبِي ، فَخُذْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ» .

فَسَكَتَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ»، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْإِرْتِبَاكِ وَالْخَجَلِ .
وَلَمْ يَجْرَأْ عَلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْخُبْزِ ، لِأَنَّهُ كَانَ - عَلَى فَقْرِهِ - عَزِيزَ النَّفْسِ ،
وَلَمْ يَتَعَوَّدِ الْمَسْأَلَةَ فِي حَيَاتِهِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللَّهِ الْخَبَّازُ» ، وَقَدْ أَدْرَكَ
مَا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ :

« لَا تَخْجَلْ يَا صَاحِبِي ، فَلَنْ أُطَالِبَكَ الْآنَ بِثَمَنِ مَا تَأْخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ » .



فَتَشَجَّعَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» قَلِيلًا ، وَقَالَ لَهُ :

«الْحَقُّ يَا سَيِّدِي أَنَّنِي خَجَلُ مِنْكَ . فَلَيْسَ مَعِيَ نَقُودٌ أَشْتَرِي بِهَا مَا
أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ فِي هَذَا الْيَوْمِ . فَإِذَا شِئْتَ أَعْطَيْتَكَ شَبَكَتِي ، لِتَكُونَ
رَهْنًا عِنْدَكَ بِمَا أَخَذَهُ مِنَ الْخُبْزِ لِأَطْفَالِ الْعَشْرَةِ الصَّغَارِ ، الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ
مِنَ الصَّبَاحِ بِلا طَعَامٍ ، حَتَّى يُيَسِّرَ لِي اللَّهُ ، فَأَعْطِيكَ ثَمَنَ مَا أَخَذْتَهُ مِنَ
الْخُبْزِ» .

فَزَادَ عَطْفَ الْخَبَّازِ وَتَأَثَّرُهُ ، فَقَالَ لَهُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا :

«وَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى الْمَالِ ، إِذَا أَخَذْتَ مِنْكَ شَبَكَتَكَ الَّتِي تَصْطَادُ
بِهَا ؟ كَلَّا ، لَا تُقْلِقْ بَالَكَ يَا صَاحِبِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَعَالَ فَخُذْ مَا
تَشَاءُ مِنَ الْخُبْزِ ، ثُمَّ أَحْضِرْ لِي بِثَمَنِهِ سَمَكًا - مِمَّا تَصْطَادُ - مَتَى يَسِّرَ اللَّهُ
لَكَ» .

وَلَمَّا رَأَى الْخَبَّازُ تَرَدُّدَ الصَّيَّادِ وَارْتِبَاكَهُ وَحَيَاءَهُ أَعْطَاهُ مَا يَكْفِيهِ - هُوَ
وَأَوْلَادُهُ الْعَشْرَةَ - مِنَ الْخُبْزِ ، وَقَالَ لَهُ :

«خُذْ هَذِهِ النُّقُودَ - يَا صَاحِبِي - فَاشْتَرِ بِهَا لِأَوْلَادِكَ الْعَشْرَةَ شَيْئًا مِنَ
اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْحُلُوءِ . فَشَكَرَهُ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» عَلَى كَرَمِهِ وَمُرُوءَتِهِ ،
وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ لَهُ .

وَانْصَرَفَ وَهُوَ فَرِحَانٌ ، وَاشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ أَطْيَبَ الْمَآكِلِ . وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ ،
وَقَدْ تَبَدَّلَ يَأْسُهُ أَمَلًا وَحُزْنُهُ سُرُورًا .

٤. أَيَّامُ النَّحْسِ

وفى اليومِ التَّالِي ، ذَهَبَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» إِلَى الْبَحْرِ . وَظَلَّ يُلْقِي شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُخْرِجُهَا ، فَلَا يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى خَيَّمَ اللَّيْلُ ، فَارْتَدَّ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ . وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ دُكَانِ «عَبْدِ اللَّهِ الْخَبَّازِ» ، أَسْرَعَ فِي سَيْرِهِ حَتَّى لَا يَرَاهُ . وَلَكِنَّ الْخَبَّازَ رَأَاهُ ، وَهُوَ يُسْرِعُ فِي خُطَاهُ ، فَأَدْرَكَ أَنَّ خَجَلَهُ وَحَيَاءَهُ يَمْنَعَانِهِ مِنْ طَلَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ الْخُبْزِ وَالْمَالِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَنَادَاهُ :



«تَعَالَ يَا صَاحِبِي الصَّيَّادَ ، فَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَأْخُذَ الْخُبْزَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ» .

فَعَادَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ وَهُوَ مُرْتَبِكٌ ، وَقَالَ لَهُ ، وَالْخَجَلُ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ :
«كَلاَ ، لَمْ أَنْسَ شَيْئًا يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنَّ الْخَجَلَ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ ،
لَأَنْتَنِي لَمْ أَصْطَدْ شَيْئًا مِنَ السَّمَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَلِهَذَا لَمْ أُعْطِكَ مَا
اِقْتَرَضْتُهُ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا ثَمَنَ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ .

فَقَالَ لَهُ الْخَبَّازُ ، مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا :

«لَا تُقْلِقْ بِالْكَ يَا أَحِي ، فَإِنِّي لَنْ أَخْذَ مِنْكَ شَيْئًا - مِنَ الْمَالِ أَوِ السَّمَكَ -
إِلَّا إِذَا تَبَدَّلَ عُسْرُكَ يُسْرًا ، وَإِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَّا تَخْجَلَ مِنْ طَلَبِ
كُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنِّي .

ثُمَّ أَعْطَاهُ - مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَالِ - مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، فَأَخَذَهُ
الصَّيَّادُ شَاكِرًا ، وَاشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَالْحُلُوءِ وَالْفَاكِهَةِ .
وظَلَّ الصَّيَّادُ - فِي كُلِّ يَوْمٍ - يَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ وَيُلْقِي فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ
النَّهَارِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطَادَ شَيْئًا . فَيَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى دُكَانِ الْخَبَّازِ ، فَيَأْخُذُ
مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَالِ ، وَيَشْتَرِي لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .
وَمَا زَالَ كَذَلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

٥. بَيْنَ الصَّيَادِ وَابْنَتِهِ

فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ ، جَلَسَ الصَّيَّادُ يُفَكِّرُ فِيمَا لَقِيَهُ مِنَ الْكَسَادِ . فَحَزِنَ وَتَأَلَّمَ ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ «أُمِينَةُ» وَهِيَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ :

«مِمَّ تَبْكِي يَا أَبَتِ ؟» . فَقَصَّ عَلَيْهَا قِصَّتَهُ كُلَّهَا . فَقَالَتْ لَهُ : «وَهَلْ أَظْهَرَ لَكَ الْخَبَازُ شَيْئًا مِنَ النُّفُورِ أَوْ الْإِعْرَاضِ ؟ وَهَلْ آذَاكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَا أَبَتِ ؟» . فَقَالَ لَهَا الصَّيَّادُ : «كَلَّا يَا ابْنَتِي الْعَزِيزَةُ ، بَلْ هُوَ - عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ - يَهْشُ لِي كُلَّمَا رَأَى ، وَيَبْتَسِمُ مُتَرْفِّقًا عَلَيَّ . وَلَكِنِّي خَجِلْتُ جَدًّا لِأَنَّنِي لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمَّا اقْتَرَضْتُهُ مِنْهُ .

وَقَدْ مَرَّ بِي أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَمْ أَصْطَدْ فِيهَا سَمَكَةً وَاحِدَةً أَهْدِيهَا إِلَى هَذَا الْخَبَازِ الْمُحْسِنِ الَّذِي غَمَرَنِي بِكَرَمِهِ . وَلَقَدْ هَمَمْتُ مِرَارًا بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِي وَرَمْيِهَا حَتَّى لَا أُتْعَبَ نَفْسِي بِهَا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى» . فَقَالَتْ لَهُ : «عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ ، وَلَا بُدٌّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ . وَيَجِبُ عَلَيْكَ - يَا أَبَتِ - أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى لُطْفِهِ بِكَ ، فَقَدْ عَظَفَ عَلَيْكَ قَلْبُ هَذَا الْخَبَازِ الْمُحْسِنِ فِي أَيَّامِ الضِّيقِ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ ، وَالْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ .

وَمَنْ يَدْرِي ؟ فَلَعَلَّ هَذَا الْيَوْمَ يَكُونُ خَاتِمَةَ أَيَّامِ النَّحْسِ وَفَاتِحَةَ أَيَّامِ الْيُسْرِ وَالْفَرَجِ» .

٦. جُثَّةُ الْحِمَارِ

فَخَرَجَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» مِنْ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ بِمَا قَالَتْهُ ابْنَتُهُ لَهُ ،
وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ جَذَبَهَا ،
فَوَجَدَهَا ثَقِيلَةً جَدًّا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

«لَا شَكَّ أَنَّ أَيَّامَ النَّحْسِ قَدْ انْقَضَتْ ، وَجَاءَ وَقْتُ الْفَرَجِ» . ثُمَّ جَذَبَ
الشَّبَكَةَ بِقُوَّةٍ حَتَّى أَخْرَجَهَا - بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ - فَوَجَدَ جُثَّةَ حِمَارٍ مَيِّتٍ .
فَانْقَلَبَ فَرَحُهُ وَسُرُورُهُ حُزْنًا وَغَمًّا ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

«لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ الشَّقَاءُ وَالنَّحْسُ . وَمَا أَحْسَبُنِي أَصْطَادُ شَيْئًا بَعْدَ
الْيَوْمِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ الْبُؤْسِ وَأَوَّلُ أَيَّامِ الْفَرَجِ ، فَإِذَا بِهِ
أَشَدُّ الْأَيَّامِ نَحْسًا . فَإِنِّي لَمْ أَصْطَدْ - فِي حَيَاتِي كُلِّهَا - مِثْلَ هَذَا الْحِمَارِ
الْمَيِّتِ ، الَّذِي كَادَتْ تَهْلِكُنِي رَائِحَتُهُ الْكَرِيهَةُ» .

وَهُمْ بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ وَرَمِيهَا ، وَالرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ يائِسًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ .
وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ نَصِيحَةَ ابْنَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الشِّتَاءَ - إِذَا اشْتَدَّ بَرْدُهُ الْقَارِسُ - جَاءَ
بَعْدَهُ الرَّبِيعُ الْبَهِيجُ ، وَأَنَّ الصَّيْفَ - إِذَا اشْتَدَّ حَرُّهُ اللَّافِحُ - جَاءَ بَعْدَهُ
الْخَرِيفُ الْجَمِيلُ ، وَأَنَّ الْبُؤْسَ - إِذَا اشْتَدَّ ضَيْقُهُ وَاسْتَحْكَمَ - أَعْقَبَهُ الْفَرَجُ .
فَصَبَرَ عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَتِهِ جُثَّةَ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ وَرَمَاهَا . ثُمَّ
نَظَفَ الشَّبَكَةَ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْرِ يَتَلَمَّسُ رِزْقَهُ فِيهِ .



٧. عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ

ثُمَّ أَلْقَى الصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُيسِّرَ لَهُ . وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ جَذَبَهَا فَرَأَاهَا ثَقِيلَةً جَدًّا . فَظَلَّ يَجْذِبُهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، حَتَّى أَخْرَجَهَا . فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلًا عَجِيبَ الْخَلْقَةِ ، غَرِيبَ الشَّكْلِ ، جِسْمُهُ جِسْمُ إِنْسَانٍ ، وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ السَّمَكِ .

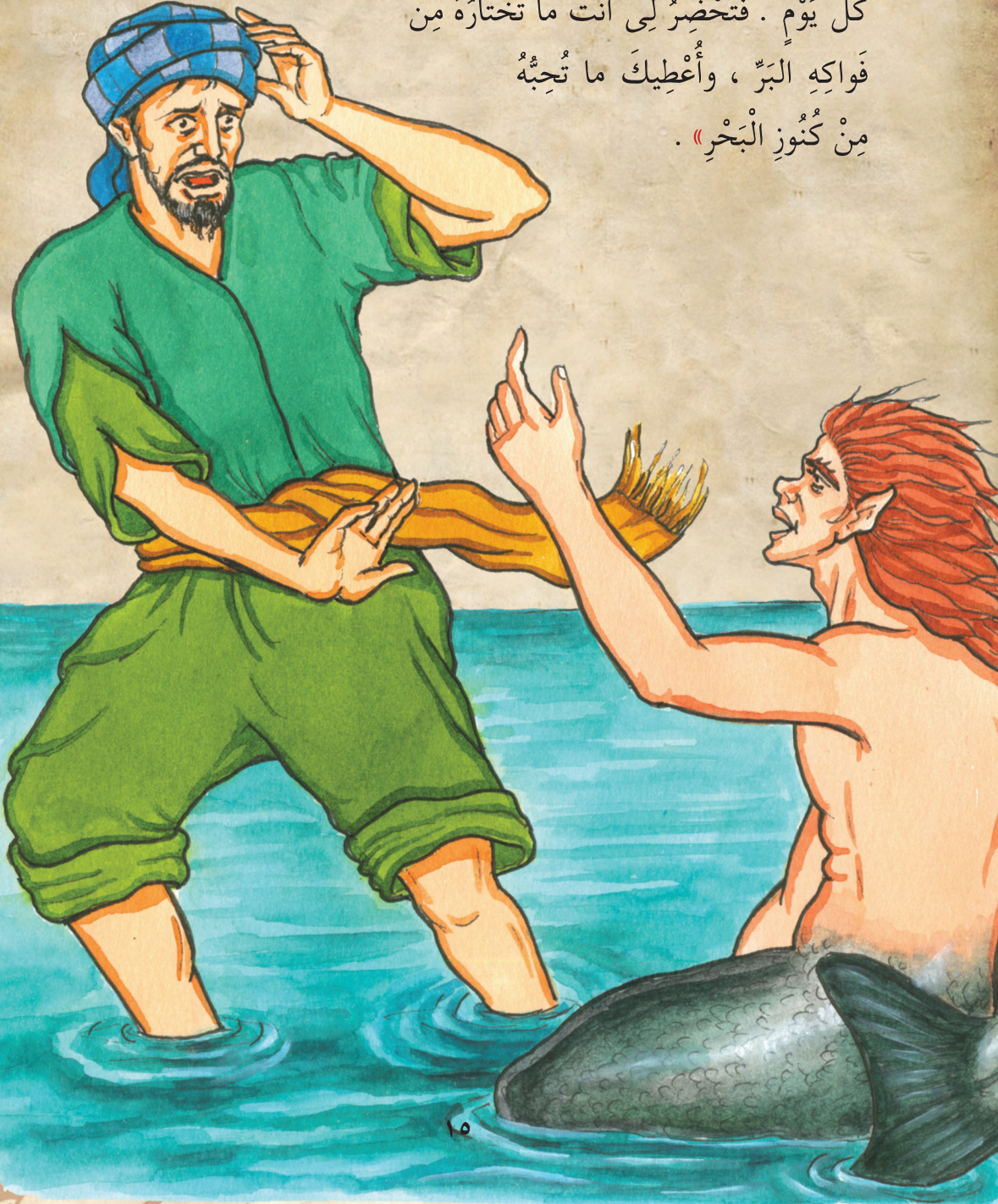
فَخَافَ الصَّيَّادُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَظَنَّهُ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ ، فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ نَادَاهُ مُتَلَطِّفًا ، وَقَالَ لَهُ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ :

« لَا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ مِنِّْي يَا صَاحِبِي ، فَإِنَّا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ ، وَلَسْتُ عِفْرِيَّتًا كَمَا تَظُنُّ . وَأَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ كَمَا تَعْبُدُهُ . وَإِنَّمَا أَنْتَ إِنْسَانٌ بَرٌّ : تَعِيشُ فِي الْبَرِّ ، وَأَنَا إِنْسَانٌ بَحْرِيٌّ : أَعِيشُ فِي الْبَحْرِ » .
فَاطْمَأَنَّ الصَّيَّادُ حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَزَالَ عَنْهُ الْخَوْفُ .

٨. الْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ» عَنِ اسْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
« اسْمِي عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ . فَمَا اسْمُكَ أَنْتَ ؟ » . فَقَالَ لَهُ :
« اسْمِي عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » . فَقَالَ لَهُ :

«أَنْتَ تَعِيشُ فِي الْبَرِّ، فَأَنَا أُسَمِّيكَ مِنَ الْيَوْمِ «عَبْدَ اللَّهِ الْبَرِّيَّ». وَسَنَكُونُ
صَدِيقَيْنِ - مِنْ هَذَا الْيَوْمِ - وَنَحْلِفُ عَلَى الْوَفَاءِ جَمِيعًا، وَنَلْتَقَى فِي صَبَاحِ
كُلِّ يَوْمٍ. فَتُحْضِرُ لِي أَنْتَ مَا تَخْتَارُهُ مِنْ
فَوَاكِهِ الْبَرِّ، وَأُعْطِيكَ مَا تُحِبُّهُ
مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ».



فَفَرِحَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» بِذَلِكَ ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْبَحْرِ . فَعَابَ عَنْهُ مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَمْ يَعُدْ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : «لَقَدْ خَدَعَنِي هَذَا الرَّجُلُ . وَلَوْ أَخَذْتُهُ مَعِيَ وَعَرَضْتُهُ فِي السُّوقِ ، لَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هَيْئَتِهِ الْغَرِيبَةِ . فَجَمَعْتُ مِنْهُمْ مَا لَا كَثِيرًا» .

وَبَيْنَا هُوَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَيَاعِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ النَّادِرَةِ ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» وَيَدَاهُ مَمْلُوءَتَانِ بِالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ وَالْمَرْجَانِ . فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَعَرَفَ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَ . ثُمَّ وَدَّعَهُ ، بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِإِخْضَارِ سَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي .
فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» :

«إِذَا لَمْ تَجِدْنِي ، فَنادِنِي بِاسْمِي ، لِأَخْرُجَ إِلَيْكَ تَوًّا» .
وَانْصَرَفَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» وَهُوَ فَرِحَانٌ بِمَا نَالَ مِنْ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ عُمُرِهِ .

٩- وَفَاءُ الدِّينِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِهِ الْخَبَّازِ عَلَيْهِ ، فَاسْرَعَ إِلَى دُكَّانِهِ ، وَنَادَاهُ . وَقَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَّازِ مَا مَعَهُ مِنَ اللَّالِئِ بِالسَّوِيَّةِ ، فَفَرِحَ الْخَبَّازُ بِهَذِهِ الثَّرْوَةِ الْعَظِيمَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ ، وَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ ، وَحَمَلَ إِلَى بَيْتِهِ كُلَّ مَا فِي دُكَّانِهِ مِنَ الْخُبْزِ ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ .

وَذَهَبَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» إِلَى السُّوقِ فَاشْتَرَى مِنْ أَطْيَبِ الْمَأْكَلِ
وَالْفَاكِهَةِ وَالْحُلُوءِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَعَادَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ .
وَفَرِحَتْ «أَمِينَةُ» وَإِخْوَتُهَا بِمَا نَالَ أَبُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ .



١٠. بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَذَهَبَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ» صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى صَدِيقِهِ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» وَعَلَى رَأْسِهِ مِشْنَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْيَبِ الْفَاكِهَةِ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ نَادَى : «يَا عَبْدَ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَحْضَرَهُ مِنَ الْفَاكِهَةِ . وَمَلَأَ لَهُ السَّلَّةَ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ وَنَفَائِيسِهِ ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَخَذَ مِنْهَا بَعْضَ اللَّالِئِ لِيَبِيعَهَا فِي السُّوقِ .

فَلَمَّا رَأَى الْجَوْهَرِيُّ مَا مَعَهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ سَارِقٌ ، فَنادَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، بَعْدَ أَنْ أَهَانُوهُ وَضَرْبُوهُ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا :

«مَنْ أَتَيْنَ أَحْضَرْتَ هَذِهِ النَّفَائِيسَ ؟» . فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّهَا . فَأَسَاءَهُ الْمَلِكُ ، وَوَبَّخَ الْجَوْهَرِيُّ وَرِجَالَ الشُّرْطَةِ ، وَعَاقَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ . وَرَأَى مَا أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ وَوَفَرَةِ عَقْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ :

«إِنَّ الْمَالَ - يَا وَلَدِي - يَحْتَاجُ إِلَى الْجَاهِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ أَدَى الشُّفَهَاءِ وَالْأَشْرَارِ . وَسَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي ، وَأَجْعَلَكَ وَزِيرِي ، فَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى إِيْذَانِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ» .

١١. وَفَاءُ الصَّدِيقَيْنِ

وَأَصْبَحَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَزِيرَ الْمَلِكِ وَصِهرَهُ ، وَنَقَلَ
أَوْلَادَهُ إِلَى الْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ مُكْرَّمِينَ .



وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَدِيقَهُ «عَبْدَ اللَّهِ الْخَبَّازَ» ، الَّذِي آسَاهُ فِي أَيَّامِ مُحَنَّتِهِ .
 فَذَهَبَ إِلَى مَخْبَرِهِ ، فَرَأَاهُ مُغْلَقًا . فَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ بَيْتِهِ حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْهِ ،
 وَعَلِمَ أَنَّهُ مَرِيضٌ فَنَادَاهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَّازُ نِدَاءَهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ ، وَهُوَ
 فَرَحَانُ بِقُدُومِهِ . فَسَأَلَهُ : «لِمَاذَا أَغْلَقْتَ دُكَّانَكَ ؟» . فَقَالَ لَهُ :
 «عَلِمْتُ مَا لِحَقِّ بِكَ مِنَ الْإِهَانَةِ ؛ فَتَأَلَّمْتُ لِدَلِيلِكَ أَشَدَّ الْأَلَمِ ، وَمَرَضْتُ
 بِسَبَبِ حُزْنِي عَلَيْكَ» . فَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ لَهُ ،
 وَزَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ «أَمِينَةَ» ، وَقَدَّمَهُ إِلَى الْمَلِكِ ، وَذَكَرَ لَهُ وَفَاءَهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ .
 فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِوَفَائِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ «عَبْدَ اللَّهِ الْخَبَّازَ» وَزِيرًا
 مَعَ صَهْرِهِ «عَبْدَ اللَّهِ الْبَرِّيَّ» .

١٢ - عَجَائِبُ الْبَحْرِ

وَكَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ» يَذْهَبُ - كُلَّ صَبَاحٍ - إِلَى صَدِيقِهِ «الْبَحْرِيِّ»
 بِمِشْنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ ، وَيَعُودُ بِهَا مَمْلُوءَةً بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ . وَفِي ذَاتِ
 يَوْمٍ جَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ ، فَدَعَا الْبَحْرِيُّ صَدِيقَهُ الْبَرِّيَّ لِيُرِيَهُ عَجَائِبَ الْبَحْرِ .
 فَخَلَعَ مَلَابِسَهُ ، وَدَهَنَ جِسْمَهُ بِمَرْهَمٍ عَجِيبٍ أَحْضَرَهُ لَهُ ، حَتَّى لَا يُؤْذِيَهُ
 الْمَاءُ . ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ . وَرَأَى مَا يَحْوِيهِ الْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ ، وَمِنْ
 سَمَكٍ مُخْتَلِفِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ ، مِنْهُ مَا يُشْبِهُ - فِي خِلْقَتِهِ - الْجَامُوسَ
 وَالْبَقَرَ ، وَمِنْهُ مَا يُشْبِهُ الْكِلَابَ ، وَمِنْهُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَلَعَّ الْجَمَلَ أَوْ
 الْفِيلَ ، وَلَكِنَّهُ يَنْفَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَيَهْرُبُ مِنْهُ إِذَا رَأَاهُ . وَكَانَ يَرَى - كُلَّ يَوْمٍ -
 عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ لَا تُوصَفُ .



١٣ - كَذِبَةُ (الْبَرِّ)

وكان يأكل - كما يأكل صديقه «عبد الله البحرى» - سمكا نيئا ، فسئمت نفسه ذلك الطعام ، وأراد الرجوع إلى البر . ولكن صديقه ذهب به إلى بيته - وهو كهف فى قرار البحر - وأراه أولاده وهم يشبهونه فى الخلقة .

فَعَجِبَ مِنْ أَذْنَابِهِمْ ، وَعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ رَأَوْهُ بِلاَ ذَنْبٍ . وَسَأَلُوا آبَاهُمْ :
«مَنْ هَذَا الْبَرُّ ؟» فَقَالَ لَهُمْ :

«إِنَّ سُكَّانَ الْبَرِّ لَيْسَ لَهُمْ أَذْنَابٌ» . فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ .

وَبَيْنَا هُمْ جَالِسُونَ ، إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرَانِ «عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْرِىِّ» ،
يَعْرِضُ عَلَى ضَيْفِهِ أَنْ يَزُورَهُ فِى بَيْتِهِ .

فَقَالَ الْبَرِّىُّ لِلْبَحْرِىِّ : «لَقَدْ سئِمتَ نَفْسِى الْبَقَاءَ فِى الْبَحْرِ ، وَلَا أُرِيدُ
الذَّهَابَ إِلَى جَارِكَ ، فَقُلْ لِرَسُولِهِ : إِنِّى قَدْ عُدْتُ إِلَى الْبَرِّ أَمْسٍ» . فَصَاحَ
«عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِىُّ» غَاضِبًا :

«أَنْتَ تَكْذِبُ ، وَتُرِيدُ مِنِّى أَنْ أَكْذِبَ ؟ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِى يَكْذِبُ لَا وَفَاءَ
لَهُ ، وَلَنْ أَصَاحِبَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ» .

وَصَاحَ أَوْلَادُهُ : «هَذَا عَجِيبٌ ! هَذَا رَجُلٌ يَكْذِبُ ، وَمَا سَمِعْنَا طُولَ
عُمْرِنَا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ» .

فَنَحَجَلَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» أَشَدَّ النَّحْجَلِ ، وَعَادَ بِهِ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» إِلَى الْبَرِّ . وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ !

١٤ . خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

عَادَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» إِلَى بَيْتِهِ ، فَسَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ سَبَبِ غَيْبَتِهِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ ، فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ .
ثُمَّ عَاشَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرُّ» مَعَ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ مَسْرُورِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كَذِبَتَهُ .

وَكَانَ يَنْحَجِلُ كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَشَدَّ النَّحْجَلِ .

مَكْتَبَةُ الْكِيلَانِي لِلأَطْفَالِ

... وَتَمْتَازُ تَوَالِيفُ الْكِيلَانِي بِالبَّسَاطَةِ فِي التَّعْبِيرِ ، وَالصَّحَّةِ فِي الأَلْفَاظِ ،
وَالرَّقَّةِ فِي التَّرْكِيبِ . وَالدَّقَّةِ فِي الأَدَاءِ ، وَالسَّلَاسَةِ وَالسُّهُولَةِ ، مَعَ اجْتِنَابِ
كُلِّ غَرِيبٍ وَنَابٍ ، وَمَعَ تَوَخُّي التَّدْرُجِ بِالطِّفْلِ . هَذَا إِلَى الشَّكْلِ الْكَامِلِ -
حَتَّى يُؤَمِّنَ الْخَطَأَ - وَالْإِكْثَارِ مِنَ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ الْمُغْرِيَةِ بِالْقِرَاءَةِ .

إبراهيم عبد القادر المازني

... وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي تَصِيرُ فِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَلِيقَةً عِنْدَ
مُتَعَلِّمِينَا . فَإِذَا قُيِّضَ لَهَا ذَلِكَ ؛ كَانَ الْفَضْلُ رَاجِعًا - فِي مُعْظَمِهِ - إِلَى
كُتُبِ الأُسْتَاذِ الْكِيلَانِي ...

على مصطفى مشرفة